

الاعتبار المعرفي لعلم الرجال

قراءة في آراء الشيخ حيدر حب الله وآراء غيره من علماء مدرسة الإمامية

عمار عزيز عكش

طالب دكتوراه في كلية الإلهيات - قسم علوم القرآن والحديث، جامعة فردوسي مشهد - إيران
ammar.bin.aziz.al.akesh@gmail.com

الدكتور عباس إسماعيلي زاده (الكاتب المسؤول)

أستاذ مساعد في كلية الإلهيات - قسم علوم القرآن والحديث، جامعة فردوسي مشهد - إيران
esmaeelizadeh@um.ac.ir

الدكتور محمد علي رضائي

أستاذ مساعد في كلية الإلهيات - قسم علوم القرآن والحديث، جامعة فردوسي مشهد - إيران
rezai@um.ac.ir

الدكتور حيدر جيجان الزيادي

أستاذ في جامعة الكوفة

haiderch.abedali@uokufa.edu.iq

The epistemological consideration of men's science is
a reading of the opinions of Sheikh Haider Hubballah
and the opinions of other scholars of the Imami school

Ammar Aziz Akash

Doctoral student at the Faculty of Theology - Department of Qur'anic and
Hadith Sciences, Ferdowsi University of Mashhad - Iran

Dr. Abbas Ismailizadeh (Responsible writer)

Assistant Professor at the Faculty of Theology - Department of Qur'anic and
Hadith Sciences, Ferdowsi University of Mashhad - Iran

Dr. Muhammad Ali Rezaei

Assistant Professor at the Faculty of Theology - Department of Qur'anic and
Hadith Sciences, Ferdowsi University of Mashhad - Iran

Dr. Haider Jijan Al-Zayadi

Professor at the University of Kufa

Abstract:-

There have been many theses and theories that have clarified the basis, argument, or criterion for considering the Al-Rijali statement, some of which make consideration a matter of testimony, the opinion of experts, unanimity and acceptance, or fatwa...etc.

Sheikh Haider Hubbalah has adopted a theory that seems new at the level of theoretical research, which is the theory of (knowledge and reassurance). The outcome of this theory is that Al-Rijali's statement is only an argument and a legitimate one out of trust and confidence in the content of his statement. The Sheikh presented several inferences on the validity of this theor.

Keywords: Men's opinions, Accumulation of possibilities, Haider hobbollah, knowledge of men, Cognitive consideration

الملخص:-

تعددت الاطروحات والنظريات التي بينت الوجه أو الحجة أو المعيار في اعتبار قول الرجالي، فمنها ما جعل الاعتبار من باب الشهادة أو قول أهل الخبرة أو الاجماع والتسالم أو الفتوى... إلخ.

وقد اعتمد الشيخ حيدر حب الله نظرية تبدو جديدة على مستوى البحث النظري وهي نظرية (العلم والاطمئنان)، وحاصل هذه النظرية أن قول الرجالي إنما يكون حجة ومشروعاً من باب الوثوق وحصول الاطمئنان بمضمون قوله. وقدم الشيخ استدالات عدة على حجية هذه النظرية.

الكلمات المفتاحية: الآراء الرجالية، تراكم الاحتمالات، حيدر حب الله، علم الرجال، الاعتبار المعرفي.

المقدمة :-

إن المادة الأساسية التي يعتمد عليها علماء الرجال في تقييمهم لهذا الراوي بوصفه ثقة أو بوصفه ضعيف أو مجهول، أو استنباط توثيق عام، أو استنتاج بعض القواعد الكلية، معتمد بشكل أساسي على ما وصل إليهم من نقولات الرجالين المتقدمين والمتأخرين بحق راوٍ من الرواة.

فالطريق الذي يوصلنا إلى إعطاء تقييم لأسانيد الأحاديث، والتعرف على أحول الرواة الناقلين للأخبار هو كتب الرجال، وبهذا لا بد من أثبات حجية الاعتماد على ما يذكره الرجاليون بحق الرواة من جرح أو تعديل، أي إثبات مشروعية ومستند واعتبار ومدرّك تقييمات الرجالين بحق الرواة.

فقد تعددت النظريات والاتجاهات التي فسرت أو أعطت الوجه في مستند وحجية ومدرّك قول الرجالي، ومديات الرجوع المعرفي له، تبعاً لتعدد مشارب العلماء الأصولية والرجالية، وهي في تزايد يوماً بعد آخر؛ ولذا جاء هذا البحث للوقوف على أهم تلك النظريات بالإضافة إلى ما قدمه الشيخ الدكتور حيدر حب الله في هذا المجال وهي نظرية تستحق الوقوف والتحليل والمناقشة ولهذا قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: عرض موجز لأهم النظريات المطروحة لمشروعية قول الرجالي

المبحث الثاني: النظرية المختارة لدى الشيخ حيدر حب الله ومستنداتها

المبحث الثالث: الملاحظات النقدية التي أخذت على نظرية (حجية الاطمئنان) عرض وتحليل.

بعد ذلك جاءت خاتمة البحث مكلفة بأهم ما توصلت إليه من نتائج، ولهذا بعد التوكل على الله نقول:

المبحث الأول

عرض موجز لأهم النظريات المطروحة لمشروعية قول الرجالي

وجدت نظريات عديدة في مشروعية قول الرجالين وحجية التمسك بأقوالهم عند تقييمهم لراوٍ ما، يمكن إجمالها بما يأتي:

النظرية الأولى: نظرية الاستناد إلى حجة الإجماع والتسالم

وحاصل هذه النظرية هو أن حجة قول الرجالي جاءت من حجة الإجماع والتسالم، وذلك بناءً على أن جميع العلماء منذ القديم وحتى اليوم قد تسالموا على الرجوع إلى الظنون الاجتهادية في علم الرجال، وبهذا يكون هذا هو المستند لقول الرجالي من باب الإجماع والتسالم.

والقائلين بهذه النظرية هم جماعة من متأخري المتأخرين على حد تعبير كلام السيد الخوئي ^(١).

النظرية الثانية: نظرية حجة الشهادة:

ويرجع اصل هذه النظرية إلى أن اعتبار مشروعية قول الرجالي حجة من باب الشهادة، فكما يؤخذ بقول الشهود عند القاضي بأن فلان سرق وأن فلان لم يسرق، كذلك يؤخذ بشهادة عالم الرجال بوثاقة فلان وضعف فلان، وأن فلان عاش في الفترة الفلانية ... إلخ.

فالعمل بقول الرجالي إنما يكون من باب العمل بالشهادة فيعتبر في قبوله ما يعتبر فيها من عدالة الشاهد وتعدد، واستندوا في ذلك أيضاً إلى مجموعة من الروايات الواردة في هذا الشأن.

ومن أبرز القائلين بهذه النظرية هو الشيخ حسن صاحب المعالم ^(٢)، ووالده الشهيد الثاني كما يظهر من كلامه ^(٣)، والمحقق الحلي ^(٤) وغيرهم.

النظرية الثالثة: نظرية حجة الظن بناءً على الانسداد:

وحاصل هذه النظرية هو أن باب العلم والعلمي منسد، وأن مساحة العلم في علم الرجال قليلة جداً، وقد أثبت في علم الأصول حجة - بعد تركيب مجموعة من المقدمات - مطلق الظن، فهنا تأخذ الظنون الرجالية حجتها من الانسداد، لأنها أحد أشكال الظن بالطريق.

ومن القائلين بهذه النظرية المحقق القمي ^(٥)، والمحقق الحائري الغروي ^(٦)، والملا علي كني ^(٧).

النظرية الرابعة: نظرية الرواية (حجية خبر الثقة الظني):

وهذه النظرية من أشهر النظريات التي اشتهرت بين المتأخرين من علماء الرجال، ومستند هذه النظرية هو أنه قد ثبت عندنا في علم الأصول حجية خبر الواحد الثقة الظني، فنطبق هذه القاعدة الأصولية على علم الرجال، ونجعل ما جاء به علماء الرجال من إفادات بمثابة إخبارات من عدول ثقات، فنأخذ بقولهم من هذا الباب ونعتمد عليهم في إخباراتهم. وقد ذهب إلى الاعتماد على هذه النظرية مجموعة من العلماء منهم السيد الخوئي رحمته الله^(٨)، والشيخ الإيرواني^(٩)، والطهراني^(١٠)، وغيرهم.

النظرية الخامسة: نظرية حجية الفتوى

وحاصل هذه النظرية هو أن قول الرجالي يكون من باب الفتوى، والفتوى على غير المجتهد حجة، فراجع إلى قول الرجالي كرجوعنا إلى فتوى المفتي، وعمدة هذه النظرية هي انسداد باب العلم والعلمي، فيكون قول الرجالي بمثابة الفتوى التي يجب على غير المجتهد تقليده فيها^(١١).

وهذه النظرية لم يقل بها مفردة أحد من علماء الرجال^(١٢)، فقد تكون مضمومة إلى نظريات أخرى مثل نظرية حجية خبر الثقة الظني.

النظرية السادسة: نظرية الاعتماد على قول أهل الخبرة

وتعتمد هذه النظرية على أن علماء الرجال هم أصحاب خبرة وفن وتضلع في هذا العلم، أن شروط الخبرية المعتمدة في قانون حجية قول أهل الخبرة موجودة في علماء الرجال، وبما أن علماء الرجال المتقدمين هم من أهل الخبرة، فنأخذ بقولهم، حتى وإن كان عن غير حس.

وهذه النظرية تعتبر من النظريات الأساسية التي أصلت لعلم الرجال، وقد اعتمدها العلامة المامقاني^(١٣).

هذه هي أغلب النظريات التي طرحها العلماء، لتفسير وبيان الوجه في شرعية أقوال علماء الرجال.

المبحث الثاني

النظرية المختارة لدى الشيخ حيدر حب الله ومستنداتها

تبنى الشيخ حب الله نظرية تبدو جديدة وحديثة الظهور على المستوى النظري وهي نظرية (الاستناد إلى حجية العلم والاطمئنان)^(١٤)، وحاصل هذه النظرية أن قول الرجالي إنما يكون حجة ومشروعاً من باب الوثوق وحصول الاطمئنان بمضمون قوله، فإذا شهد أو ذكر وثاقة فلان من الرواة كانت وثاقته مطمئناً بها، وهكذا لو ضعف أو عين اسماً أو حدد طبقة أو بين نسباً، أو ذكر كتاباً... إلخ.

والاطمئنان حجة عقلائية، فإن العقلاء يرونه علماً ويرتبون عليه أثراً، دون أن يكون هناك رادع من الشارع، وبهذا يكون حجة شرعاً^(١٥).

يعتبر الحر العاملي أول من تناول هذه النظرية بالبحث^(١٦)، حيث جعلها ضمن القرائن القطعية لحال الراوي، قال في خاتمة الوسائل: "ثم اعلم أن توثيق علماء الرجال ليس من باب الشهادة، لعدم ثبوت شهادة الشاهد بمجرد كتابته فضلاً عن كتابة غيره شيئاً ينسبه إليه. بل هو من جملة القرائن القطعية التي تدل على حال الرجل، فلا وجه للاختلاف - هنا - في قبول تزكية الواحد، وإنما ذاك مخصوص بالشهادة الشرعية بتعديله ولا بد من التعدد.

وأما توثيق الراوي الذي يوثقه بعض علماء الرجال الأجلاء الثقات الأثبات فكثيراً ما يفيد القطع مع اتحاد المزكي، لانضمام القرائن التي يعرفها الماهر المتبع فإن لكل عمل رجلاً (وفوق كل ذي علم عليم).

ألا ترى أنا نرجع إلى وجداننا فنجد - عندنا - جزماً نقول بثقة كثير من رواتنا وعلمائنا الذين لم يوثقهم أحد، لما بلغنا من آثارهم المفيدة للعمل بثقتهم، وتوثيق بعض الثقات الأجلاء من جملة القرائن المفيدة لذلك، وقد تواترت الأحاديث في حجية خبر الثقة كما مر، فيدخل خبره بحال الرواة كما هو ظاهر"^(١٧). فإنه يذهب إلى حصول القطع حتى وإن كان قول الرجالي أحد القرائن.

واعتمد هذه النظرية السيد السيستاني (حفظه الله) كما نقل عنه ذلك ولده السيد محمد رضا بعد أن تبناها هو أيضاً^(١٨)، فقد جعل قول الرجالي يؤدي إلى حصول الاطمئنان

بوثاقة الراوي وصدور الرواية، قال: "فالصحيح - إذاً- ما سلكه سيدي الاستاذ الوالد (دامت بركاته) من أن الرجالي وتضعيفه إنما يصلح أن يكون من مبادئ حصول الاطمئنان أو عدم حصوله بوثاقة الراوي أو بصدور الرواية" (١٩).

وناصر هذه النظرية المحقق عبد الله المامقاني - وإن كانت عباراته مختلفة من نظرية لأخرى في تبنيه أياً من هذه النظريات - فقد رفض تقريباً كل النظريات المطروحة في شرعية علم الرجال، معتبراً أن القيمة الحقيقية المنشودة في البحث الرجالي تكمن عندما يتحصل منه الظن الاطمئنائي الانتظامي الذي يأخذ به العقلاء وتتقوم به أمورهم وحياتهم (٢٠).

وأما مستند الشيخ حب الله في الالتزام بهذه النظرية وتبنيها، فهو أنه تمسك بمجموعة من الاستدلالات التي استدل بها العلماء على حجية هذه النظرية (٢١)، مع إضافة بعض التعليقات والتوضيحات على بعض الملاحظات التي أخذت على هذه الاستدلالات، وهذه الاستدلالات هي:

المستند الأول: المستند القرآني

وعمدة هذا المستند هو آية النبأ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٢٢).

وهذه الآية ألزمت بالتبيين والتثبت فيما يردنا من أخبار، والبحث الرجالي نوع من التبيين العقلاني (٢٣).

فإن ما ورد إلينا من أقوال أهل الخبرة إذا أفادت الوثوق دلت الأدلة - ومنها دليل آية النبأ - على حجيته، وهذا هو أحد موارده (٢٤).

المستند الثاني : توليفة من الأدلة

ومن تبنى هذه النظرية من العلماء المعاصرين الشيخ محمد سند البحراني، وقدم عدة نقاط استدلالية بيانية لبرهنة هذه النظرية، وهي:

١. الوثوق والاطمئنان فهو الفيصل في حجية واعتبار خبر الواحد، ولا حجية له لمجرد الوثاقة، وهذا الاعتبار لا يجري في الرواية وحسب، بل وفي راوي تلك الرواية، من

حيث ضبطه ووثاقته وخبريته وإتقانه ... إلخ، فالمناط في قبول خبر الواحد هو الوثوق والاطمئنان بالصدور.

٢. إن القيمة التي تقدمها طرق التوثيق لا تنحصر بالحجية المعينة المستقلة لقول الرجالي، بل لا بد من استخدام منهج جمع القرائن وتعاضدها وتراكم الشواهد بنحو تزداد به درجة الاحتمال، للوصول إلى الاطمئنان والوثوق.

٣. لا يُقتصر في تجميع القرائن وبيان الشواهد على الأصول الرجالية القديمة الخمسة، بل يمكن الاستفادة في جمع القرائن من الكتب الرجالية المتأخرة إلى يومنا هذا، لأن المناط هو الحصول على القرينة لا قول الرجالي بما هو هو.

٤. إنه لا يوجد انسداد في علم الرجال، فالعلم الوجداني مفتوح بلا حاجة إلى العلم التعبدية والحجية المستقلة لبعض طرق التوثيق، فالممارسة والتتبع الوافر على البحث الرجالي يؤدي إلى حصول الاطمئنان.

٥. يترتب على ذلك سعة مصادر علم الرجال وانها لا تنحصر بكتب الرجال والفهارس، بل تشمل غيرها من المصادر بوصفها قرائن وشواهد على بيان وتحديد حال الراوي، ويمكن بيان ذلك بمثال بجمع روايات الراوي لمعرفة حاله أو حال الإسناد والإرسال كما هي طريقة السيد البروجردي.

٦. لا يمكن أخذ أقوال الرجالين حجة تعبدية في التوثيق والتضعيف، بل لابد من ملاحظة القرائن الأخرى، فالمدار هو حصول الاطمئنان والعلم العادي والوجداني، لأن علم الرجال كعلم التاريخ يتوصل إلى نتائجه بشحن الشواهد وجمع القرائن.

٧. إن كثيراً من قواعد التوثيق العامة التي اختلف فيها اختلافاً كثيراً، كقاعدة (ما يرويه الثلاثة) وقاعدة (أصحاب الإجماع)، يمكن الأخذ بها كقرائن تتطافر مع بعضها البعض وفق هذا المنهج، وليس بوصفها حجة تعبدية حسية^(٢٥).

هذه هي أبرز المستندات الاستدلالية لنظرية (حجية العلم والاطمئنان)، التي ذكرها بعض العلماء واستند إليها الشيخ حب الله لإثبات هذه النظرية.

المبحث الثالث

الملاحظات النقدية التي أخذت على نظرية (حجية الاطمئنان) عرض وتحليل

لا يختلف اثنان في حجية قول الرجالي إذا حصل منه الاطمئنان أو القطع، فإذا أورث قول الرجالي الاطمئنان كان حجة، لحجية الاطمئنان أو اليقين عند العقلاء وعدم ردع الشارع عنه فهو بذلك حجة.

لكن هل يمكن وضع معيار أو قانون عام يمكنه أن يجعل قول الرجالي يفيد الاطمئنان أو القطع نوعاً أو غالباً، فإن الكبرى متحققة وتامة وهي حجية الاطمئنان أو اليقين، إنما الكلام في الصغرى، أي هل أن مساحة الاطمئنان واسعة بحيث تشمل كل علم الرجال أو الحد الأكثر منه بحيث يتقوم عندنا علم الرجال الاطمئنان، أم أن القطع والاطمئنان يشتمل على جملة ضيقة من علم الرجال وبالتالي نصل إلى إغلاق باب هذا العلم.

من هنا سجلت مجموعة من الملاحظات على هذه النظرية، أهمها:

الملاحظة الأولى: إن قول الرجالي يمكنه أن يفيد اليقين أو الاطمئنان إذا حفته القرائن وعضدته الشواهد، فهل قوله بما هو يفيد القطع أيضاً؟!

قال صاحب مقياس الرواة: "أنه لا كلام في حجية القطع لكل من حصل له بأية قرينة، سواء كانت هي توثيق بعض الأجلاء أم الآثار والكتب والتأليفات.

وإنما الكلام في اعتبار توثيقات علماء الرجال وتزكيته لولا حصول القطع لأجل القرائن ... وإنما الكلام في حصول الاطمئنان من أقوال الرجالين مع قطع النظر عن تلك القرائن، ودون إثبات ذلك خرط قتاد" (٢٦).

ورد الميرزا النائيني هذه النظرية، لأن حصول الاطمئنان هنا قليل جداً، قال: "الاقتصار في الظنون الرجالية على خصوص الاطمئنان غير ممكن لقلة الظنون الاطمئنانية في ذلك الباب جداً" (٢٧).

وذكر الشيخ الإيرواني أن حصول الاطمئنان من قول الرجالي نادر جداً، ويستغرب ممن وصفهم ببعض اعلام مدرسة النجف، "ومن الغريب ما ينقل عن بعض اعلام مدرسة النجف الأشرف من حصول القطع له بوثاقة من يوثقه الشيخ الطوسي" (٢٨).

ردَّ الشيخ حب الله على هذا النقد، بأن الأشكال المطروح راجع في أساسه إلى مديات تحديد القوة الاحتمالية في أقول الرجالين، أي ماهي حدود القوة العلمية التي توفرها كلماتهم حتى إذا قرأناها حصل لنا الاطمئنان أو العلم؟.

وكذلك من الممكن حصول الاطمئنان من بعض كلمات الرجالين، وهو أمر منطقي، لكنّه لا يشمل المساحة الكلية لعلم الرجال، "إنّ حصول الوثوق والاطمئنان من بعض كلماتهم أو ضمن بعض الشواهد أمر منطقي، لكنّه لا يساوي كلّ مساحة علم الرجال، ولا أغلبيتها الساحقة. كما أنّ قول الرجالي لوحده، لا سيما مع عدم التعدّد، لا يُنتج الوثوق في كثير من الأحيان" (٢٩).

فعند المراجعة إلى مناهج الرجالين، فإنه ليس عندنا العلم بمناهج الرجالين المتقدمين وآليات عملهم، فحتماً قول الرجالي لوحده لا يوصلنا إلى الوثوق مع عدم التعدّد، وعليه "الحقيقة إنّ الاعتماد على كتب التراجم التي اعتادت المدح والثناء غير صحيح لسدّ الثغرة التي نحن فيها. من هنا فنحن بحاجة ماسة إلى دراسة حال الطبقة الرجالية القديمة، لتحديد وضعها من ناحية قيمتها العلمية لمعرفة درجة الوثوق التي تعطينا إياها ... لهذا يجب لمن يسلك مسلك الاطمئنان أن يأخذ هذه العناصر بعين الاعتبار، والتي لا تُسقط قيمة هذا العلم، بل تدفعنا للتريث في تحصيل اليقين أو الاطمئنان من معطياته ما لم تتراكم الشهادات والإفادات وتتعاوض" (٣٠).

وقد أجاب الشيخ حب الله على ما قاله السيد محمد رضا السيستاني - بعد انتصاره لنظرية حجية الاطمئنان - من "إنّ الصحيح أنّ من لديه ممارسة طويلة وخبرة متراكمة ومتابعة دقيقة، يحصل له الاطمئنان في كثير من الحالات بصدور الخبر، وإن كان منفرداً، وبوثاقة الراوي وإن انحصر الموثق في شخص واحد. نعم، من ليس له إلمام واسع وخبرة تامة فإنه لا يحصل له الاطمئنان، ولكن لا عبرة بعدم حصول الاطمئنان لمثله" (٣١).

بأن ما ذكره هو وجه نظر شخصية نابعة من تجربة شخصية لها طريقها وملاساتها، لأنه لا يمكن أن يكون من لا يحصل له اطمئنان لا عبرة بحالته، وذلك لأن جمهور العلماء عبر التاريخ نظن أنه لا يحصل لهم اطمئنان بوثاقة الراوي بقول رجالي واحد فقط (٣٢).

مناقشة وتعليق:

يمكن مناقشة اجابة الشيخ حب الله على هذه الملاحظة من جانبين:

أ. في تحديده أساس المشكلة بالقدرة الاحتمالية والعلمية في أقوال الرجالين، هل يمكن لأقول الرجالين أن تعطي للقارئ إذا قرأها العلم والاطمئنان العقلاني القطعي، وهذا لم يحصل لجمهور العلماء السابقين عبر التاريخ.

ب. وإن سلمنا بأن قول الرجالي لوحده لا يشمل المساحة الكافية من علم الرجال، وكذلك الاطمئنان المعتضد بالقرائن والمشحوز بالشواهد لا يمكن أن يشمل غالبية علم الرجال الساحقة، لذلك حصول الاطمئنان قليل جداً، كما ذكرنا سالفاً كلمات الميرزا النائيني والإيرواني وغيرهم. فتصبح نظرية الاطمئنان أقل مساحة من النظريات الأخرى.

الملاحظة الثانية: إن الاطمئنان الحاصل وفق هذه النظرية غير منضبط، لأنه قد يخضع لعوامل شخصية ذاتية تتعلق بنفس المطمئن والقاطع، فكيف يجوز للعلماء العاملين بالتقييمات الرجالية أن يحتج بعضهم على بعض بصحة سند رواية ما لتوثيق روايتها، أو ضعف رواية أخرى، يجرح بعضهم من قبل علماء الرجال، وهل أحتج على المحتج بعدم حصول الاطمئنان من تقييم الرجالي، ودعوى أن ذلك لم يحصل؛ لحصول الاطمئنان للجميع، عهدتها على مدعيها. هذا النقد طرحه الشيخ معين دقيق^(٣٣).

قدم الشيخ حب الله ثلاثة ردود على هذا النقد:

أ. إن بواعث الاطمئنان واليقين وإن كانت ذاتية شخصية في بعض الموارد، لكنها لا تكون كذلك في جميع الموارد إطلاقاً، وذلك لأن من يحصل له يقين واطمئنان بمورد ما يمكنه أن يدل ذلك الاطمئنان إلى صياغة موضوعية استدلالية مكونة من الشواهد والعناصر التي دفعته إلى الاطمئنان، وبالتالي يمكن أن يخضع للمحاكمة المعقولة وفق تلك المبررات التي قدمها. وهذه المبررات ليست فقط مطلوبة لإثباتها للغير، وإنما لتحصيل الوثوق بموضوعية الاطمئنان الذي حصل للنفس أيضاً^(٣٤).

ب. أن العلماء يحتاجون بعضهم على البعض الآخر دائماً بحجة الظهور، مع أن الظهور عفوي طبعي ذاتي في غالب الأحيان، ومع هذا يمكن تحويله من بعده الذاتي الطبعي إلى بعد استدلالي موضوعي، وذلك عبر تقديم المنبهات الوجدانية التي تبعث الإحساس بالظهور عينه عند الطرف الآخر.

ت. إذا لم تثبت للرجالي أياً من النظريات المطروحة، ولم يبق أمامه سوى الاطمئنان والعلم، ويعتقد بأن مساحة العلم أو الاطمئنان متاحة بشكل مقبول، فلماذا لا يلتزم بالحجة من هذا الباب؟^(٣٥). وإن كانت تعاني شيئاً من الذاتية التي لا تبرر أثبات غيرها من النظريات التي لم تسلم إدلتها.

مناقشة وتعليق:

إن الشيخ أقر بأن نظرية الاطمئنان في بعض الموارد لا تسلم من الذاتية الشخصية، وقد لا يمكن تحويل الاطمئنان إلى الذي يحصل للرجالي إلى استدلال منضبط بضابطه تحكمه بحيث يصبح حجة يحتج بها.

إن هناك فرق بين الظهور والاطمئنان وإن كان هناك وجه شبه، بأن الظهور ذاتي طبعي، لكنه محكوم بأحكام فصلت في أصول الفقه، وكذلك الحجة التي يعطيها الظهور غير الحجة التي يعطيها الاطمئنان، فالظهور حجة تكون تقريباً متساوية عند العقلاء لا يختلفون فيها بالقدر الكبير.

إن الرجالي إذا لا يرى سلامة إي نظرية من النظريات التي تفسر حجة قول الرجالي، ولا يبقى أمامه سوى نظرية العلم والاطمئنان، لا بد له من البحث عن نظرية تكون سالمة أيضاً وقائمة باستدلالاتها، هذا إذا ثبت أن كل النظريات المطروحة هي أقل استدلالاً من نظرية الاطمئنان، فمن غير الممكن الاستناد إلى نظرية تعاني من ما اسماء هلامية قهرية^(٣٦)، وكما أنها لا تثبت النظريات الأخرى أيضاً لا تثبت نظرية الاطمئنان.

الملاحظة الثالثة: إن هذه النظرية تتداخل مع سائر النظريات الأخرى، ولم تكن في قبال بقية النظريات، فالشهادة مثلاً في كثير من الأحيان قد تكون موجبة لحصول الاطمئنان والوثوق بصدق المضمون، وكذلك الحال في الخبرية وغيرها، بل قد يحصل الاطمئنان

بصدق رواية حتى مع قدح علماء الرجال بأفراد سندها^(٣٧)، أي أن هذه النظرية لا تقف في عرض سائر النظريات بل هي جزء من بقية النظريات.

دفع الشيخ حب الله هذا الإشكال بجوابين:

أ. إن هذا التداخل هو تداخل في موارد النظريات، وليس تداخلاً بين النظريات، ثم أن هذا حاصل مع جميع النظريات وليس فقط مع نظرية الاطمئنان، فإذا قلنا مثلاً بحجية قول الرجالي من باب خبر الثقة، فإن هذا يشمل أيضاً الحجية لقول شهود البيئة، ولا مشكلة في ذلك، لأن النظريات قد تتداخل فيما بينها في مساحتها التطبيقية، بالخصوص والعموم المطلق أو العموم والخصوص من وجه، كما فيها هذه النظرية، وبعبارة الشيخ "التداخل الموردي أو التطبيقي لا يعني التداخل في البناء النظري بين هذه النظريات، حتى يعتبر إشكالاً علمياً عليها أو كاشفاً عن خلل أو مفارقة"^(٣٨).

ب. إن الذي يتبنى نظرية حجية الاطمئنان يجب أن يكون قد أسقط جميع النظريات المطروحة، ولهذا عرف بأنه من القائلين بحجية الاطمئنان وهذا شيء طبيعي، فلا محصل لهذا الأشكال بأن النظرية لا تنفي ما عداها، لأن النظرية قائمة في أساسها على نفي وبطلان سائر النظريات الأخرى^(٣٩).

مناقشة وتعليق:

جواب الشيخ على هذا الإشكال جواب منطقي، لأن النظريات تتداخل في مواردها وهذا أمر طبيعي، لا يكاد يسلم منه أي علم من العلوم ولا تكاد تقوم أي نظرية من دون أن تحتاج في بعض مواردها إلى نظرية أو جانب من نظرية أخرى وخصوصاً في علم كعلم الرجال.

الملاحظة الرابعة: عرض الشيخ حب الله نقداً محصله هو أن الشيخ محمد السند لم يذكر لنا في استدلاله بالنقاط السبعة التي ذكرها في بيان النظرية هل بنية الوثائق الرجالية التي وصلت إلينا تعطي الوثوق والاطمئنان، فكيف عرف الشيخ السند أن وثائق الرجالين تفيد الوثوق حتى ادعى انفتاح باب العلم الوجداني فيه؟.

وأجاب، "الذي يبدو لنا أن الخبرة الميدانية وكثرة حصول الوثوق لأصحاب هذه النظرية هو ما دفعهم لطرحها، ولهذا لم نجد في كلامهم سوى محض الدعوى، لأن برهانها ليس قضية كلية عقلية أو نصاً شرعياً ثابتاً من كتاب أو سنة، وإنما تراكم خبرة عملية أوصلت إلى هذه القناعة، ونجد أن هذا حقٌ طبيعي لهم"^(٤٠).

الخاتمة والنتائج:

من خلال ما تقدم من تحليل عام لهذه النظرية، وبيان تفاصيلها الجزئية وما وجه لها من اشكالات مختلفة، وإجابات الشيخ حب الله على هذه الاشكالات، مع بعض التعليقات في المقام، يتضح لنا:

١. أن هذه النظرية قائمة في الكبرى على حجية العلم والاطمئنان من جهه، مع بيان بطلان سائر النظريات المطروحة في هذا الباب من جهة أخرى.
٢. أما في الصغرى أي - انفتاح العلم الوجداني - لم يثبت عليه أي دليل شرعي محض من قرآن أو سنة، وإنما الاعتماد على الخبرة العملية الميدانية، التي أدت إلى كثرة حصول الوثوق عندهم، أوصلتهم إلى هذه القناعة، فهي مسألة تجريبية خبروية تختلف من شخص لآخر، تبعاً لمواقفه داخل بحوث هذا العلم التطبيقية^(٤١).
٣. يمكن القول باعتبار ما قدمه الشيخ حب الله من إبطال لسائر النظريات المطروحة لتفسير حجية قول الرجالي ومشروعيته، وعرض نظرية الاطمئنان وتحليلها، ومناقشته للإشكالات التي وجهت إليها مناقشة علمية دقيقة كما بينا فيما سبق.
٤. أن بناءً على هذه النظرية، وإن واجهتها بعض الإشكالات هو بناء صحيح معتبر معتمد بأدلة معتبرة، وبهذا تقوم قيمة علم الرجال المعرفية على حجية القطع وحجية الاطمئنان لا غير.

هوامش البحث

- (١). انظر، الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث، ج١، ص٦٤.
- (٢). انظر، ابن الشهيد الثاني، حسن بن زين الدين، معالم الدين، ص٢٢٢.
- (٣). انظر، الشهيد الثاني، زين الدين، الرعاية في علم الدراية، ص١٩٨.
- (٤). انظر، المحقق الحلي، نجم الدين، معارج الأصول، ص٢١٦.
- (٥). المحقق القمي، أبو القاسم، القوانين المحكمة، ج٢، ص٤٨١-٤٨٢.
- (٦). الحائري، محمد حسين، الفصول الغروية، ص٢٩٩-٣٠٠.
- (٧). كني، الملا علي، توضيح المقال في علم الرجال، ص٨١.
- (٨). انظر، الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث، ج١، ص٦٤-٦٥.
- (٩). انظر، الإيرواني، باقر، دروس تمهيدية في القواعد الرجالية، ص١٩٥.
- (١٠). انظر، الطهراني، مهدي الهادي، تحرير المقال في كليات علم الرجال، ص٣٩-٤٧.
- (١١). راجع، المحسني، محمد آصف، بحوث في علم الرجال، ص٤١. والطهراني، محمد الهادي، تحرير المقال في كليات علم الرجال، ص٤٥.
- (١٢). انظر، حب الله، حيدر محمد، منطق النقد السندي، ج١، ص٩٩.
- (١٣). راجع، المامقاني، عبدالله، تنقيح المقال، ج١، ص١٨٢-١٨٣.
- (١٤). انظر، حب الله، حيدر محمد، منطق النقد السندي، ج١، ص١٦٢.
- (١٥). راجع، المصدر نفسه، ج١، ص١٥٢-١٥٣.
- (١٦). انظر، حب الله، حيدر محمد، منطق النقد السندي، ج١، ص١٥٣-١٥٤.
- (١٧). الحر العاملي، محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة، ج٣٠، ص٢٩٠.
- (١٨). انظر، السيستاني، محمد رضا علي، قبسات من علم الرجال، ج١، ص٢٠.
- (١٩). المصدر نفسه، ج١، ص٢٠.
- (٢٠). انظر، المامقاني، عبدالله، تنقيح المقال، ج١، ص٧٨. وراجع عباراته المختلفة، نفس المصدر، ج١، ص٥٨ و١٥٨.
- (٢١). انظر، حب الله، حيدر محمد، منطق النقد السندي، ج١، ص١٥٤-١٥٥.
- (٢٢). الحجرات، الآية٦.
- (٢٣). انظر، المامقاني، عبدالله، تنقيح المقال، ج١، ص٧٣.
- (٢٤). انظر، المصدر نفسه، ج١، ص٥٨.
- (٢٥). انظر، سند، محمد، بحوث في مباني الرجال، ص٨٥-٨٩.
- (٢٦). السيفي المازندراني، علي أكبر، مقياس الرواة، ص٩٥.
- (٢٧). الخوئي، أبو القاسم، أجود التقريرات، ج٢، ص١٤٨.

- (٢٨). الإيرواني، باقر، دروس تمهيدية في القواعد الرجالية، ص ١٩٣.
- (٢٩). حب الله، حيدر محمد، منطق النقد السندي، ج ١، ص ١٥٦.
- (٣٠). المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣١-٢٣٢.
- (٣١). السيستاني، محمد رضا، قبسات من علم الرجال، ج ١، ص ٢٠.
- (٣٢). انظر، حب الله، حيدر محمد، منطق النقد السندي، ج ١، ص ١٥٦-١٥٧.
- (٣٣). دقيق العاملي، معين، السوانح العملية، ص ١٧٤.
- (٣٤). انظر، حب الله، حيدر محمد، منطق النقد السندي، ج ١، ص ١٥٨.
- (٣٥). انظر، حب الله، حيدر محمد، منطق النقد السندي، ج ١، ص ١٥٨.
- (٣٦). انظر، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٩.
- (٣٧). دقيق العاملي، معين، السوانح العملية، ص ١٧٤.
- (٣٨). حب الله، حيدر محمد، منطق النقد السندي، ج ١، ص ١٥٩.
- (٣٩). انظر، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٩.
- (٤٠). حب الله، حيدر محمد، منطق النقد السندي، ج ١، ص ١٦٠.
- (٤١). انظر، حب الله، حيدر محمد، منطق النقد السندي، ج ١، ص ١٥٩-١٦٠-١٦١.

قائمة المصادر

- القرآن الكريم.

١. الإيرواني، باقر، دروس تمهيدية في القواعد الرجالية، مؤسسة انتشارات مدين، قم، إيران، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ.
٢. حب الله، حيدر محمد، منطق النقد السندي (بحوث في قواعد الرجال والجرح والتعديل)، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.
٣. الحر العاملي (١١٠٤هـ)، محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم، إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٤. الخوئي (١٤١٣هـ)، أبو القاسم، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، نشر مدينة العلم آية الله العظمى الخوئي، قم، إيران، الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ.
٥. دقيق العاملي، معين حسن، السوانح العاملية في تنقيح القواعد الرجالية، نشر: امين انديشه، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
٦. سند، محمد، بحوث في مباني علم الرجال، بقلم محمد صالح التبريزي، نشر مدين، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
٧. السيستاني، محمد رضا، قبسات من علم الرجال، جمعها ونظمها: محمد البكاء، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ.
٨. السيفي المازندراني، علي أكبر، مقياس الرواة في كليات علم الرجال، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٩. الشهيد الثاني (٩٦٥هـ)، زين الدين الجبجي العاملي، الرعاية في علم الدراية، تحقيق: عبد الحسين محمد علي بقال، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
١٠. الشيخ حسن بن الشهيد الثاني (١٠١١هـ)، معالم الدين وملاذ المجتهدين، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران، الطبعة الثانية عشرة، ١٤١٧هـ.
١١. الطهراني الخائري، محمد حسين، الفصول الغروية في الأصول الفقهية، مطبعة نمونه قم نشر: دار إحياء الكتب الإسلامية، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
١٢. القمي (١٢٣١هـ)، الميرزا أبو القاسم بن الحسن، القوانين المحكمة في الأصول، دار إحياء الكتب الإسلامية، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
١٣. الكني (١٣٠٦هـ)، ملا علي، توضيح المقال في علم الرجال، تحقيق: محمد حسين مولوي، مركز بحوث دار الحديث، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
١٤. المامقاني (١٣٥١هـ)، عبد الله، تنقيح المقال في علم الرجال، تحقيق: محمد رضا المامقاني، مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
١٥. محسني القندهاري، محمد آصف، بحوث في علم الرجال، طبع مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، قم، إيران، الطبعة الخامسة، ١٤٣٢هـ.

١٦. المحقق الحلّي (٦٧٦هـ)، نجم الدين جعفر بن الحسن، معارج الأصول، حققه: محمد حسين الرضوي الكشميري، مؤسسة آل البيت عليه السلام للطباعة والنشر، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
١٧. الهادوي الطهراني، مهدي، تحرير المقال في كليات علم الرجال، مؤسسة فرهنگي خانه خرد، قم، إيران، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ.